مكتبة الهمّة

الدولة الإسلامية

مفيد المستفيد

في كفر تارك التوحيد

للشيخ

محمد بن عبد الوهَّاب (رحمه اللَّه)

المتوفى سنة ١٢٠٦هـ

مفيد المستفيد
في
كفر تارك التوحيد

للشيخ

محمد بن عبد الوهَّاب (رحمه الله)

المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ

مكتبة الهمة

مكتبة
الهمّة

الدّولةُ الإسلاميّة
خلافةٌ على مِنهاجِ النُّبوّة

الطبعة الأولى
مطابع الدَّولة الإسلاميَّة
شوال ١٤٣٦هـ

مُقَدِّمَة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فهذه رسالةٌ في التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهَّاب[1] باسم (**مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد**) كتبَها (رحمه الله) عام ١١٦٧ هـ لـمَّا ارتدَّ أهلُ حُرَيْمِلَاء[2] وارتابَ بعضُ مَنْ يدَّعي العلم في تكفيرهم.

وهي رسالةٌ كسائر رسائله (قدَّس الله روحه) لا تحتاج إلى من يقدِّم لها ويثني عليها؛ فبمجرد ما يتصفَّحُها القارئُ يحكم عليها بالجودة وغزارة العلم، ولا سيما وأنها صادرة من إمامٍ مجدِّد، كرَّس حياته في بيان التوحيد الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، وبيان ما يجبُ لله تعالى على عباده من حقِّ العبودية وإخلاص العبادة بكلِّ أنواعها له سبحانه.

وقد حاربَ الشيخُ محمد الشركَ والوثنيةَ والبدعَ والخرافاتِ بجميع أشكالها، في داخل الجزيرة العربية وخارجها، وجاهدَ كلَّ مَنْ وقف في

(١) هو الإمام المجدِّد أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي النجدي المولود سنة ١١١٥ هـ في بلدة العُيَينة التي تقع الآن شمال الرِّياض، والمتوفى سنة ١٢٠٦ هـ (رحمه الله وأسكنه فسيح جنَّاته).

(٢) حُرَيْمِلَاء: هي منطقة من مناطق هضبة نجد، تقع وسط الجزيرة العربية، وهي الآن تابعة للرِّياض.

وجه دعوة التوحيد، فجمع بين التوحيد والجهاد، حتى صار إمامَ عصره، طهَّر الله على يديه البلادَ من الشرك الذي وقع فيه كثيرٌ من المسلمين آنذاك، وجدَّد به سبحانه التوحيد الذي كاد يندرس، فهو ممَّن نحسبُه يَصْدُقُ عليه قولُ الصادق المصدوق (صلوات الله وسلامه عليه): «إنَّ الله تعالى يَبْعَثُ لِهذِهِ الأُمَّةِ على رَأْسِ كلِّ مائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لها دِينَها»(١).

فحريٌّ بنا اليوم أنْ نعيدَ نشر هذه الرِّسالة القيِّمة ونَـبُثَّ تلك العقيدة الصافية، عقيدة التوحيد الخالص التي تبنَّاها ودعا لها وقاتل لأجلها الشيخُ ابنُ عبد الوهَّاب (رحمه الله)، وتابعه في ذلك مِنْ بعده أبناؤُه وأحفادُه، أئمة الدَّعوة النَّجدية (رحمهم الله أجمعين).

هذا؛ وإنَّا لَنحمدُ الله تعالى أنْ يسَّر لنا طباعة (**المفيد المستفيد**)، ونشكره سبحانه أنْ شرَّفنا بنشر ما جدَّده الشيخُ محمد من عقيدة التوحيد، والتي ما فَتِئَ الطواغيتُ وأتباعُهم يحاربونها باسم (الوهابية، والتكفيرون، والخوارج،...) منذ انطلاقتها الأولى وإلى وقتها هذا، ولكنْ أنَّى لهم طمسُ نورِ التوحيد؛ وقد صار للإسلام اليومَ دولةٌ على منهاج النُّبوَّة، تحرسُ حِمى التوحيد وتحمي دُعاته.

مكتبة الهمّة
الدّولة الإسلاميّة
شـــوال ١٤٣٦ هـ

---

(١) حديثٌ صحيح، رواه أبو داوود وغيرُه.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب (رحمه الله):

روى مسلمٌ في صحيحه عن عمرو بن عبسة السلمي (رضي الله عنه) قال: كُنْتُ وأَنَا في الجاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلاَلَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَاراً، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيهِ، فإِذَا رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) مُسْتَخْفِياً، جُرَآءُ عَلَيهِ قَومُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيهِ بمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «أنا نَبيٌّ» قُلْتُ: وما نبيٌّ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي الله» قُلْتُ: وبأيِّ شَيْء أرْسَلَكَ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الأَوْثَانِ، وأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لا يُشْرَكُ بِهِ شَيْء» قُلْتُ له: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذا؟ قَالَ: «حُرٌّ وَعَبْدٌ» ومعه يَوْمَئذٍ أَبُو بكرٍ وبلالٌ (رضي الله عنهما)، قُلْتُ: إنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: «إنَّكَ لَنْ تَسْتَطيعَ ذلِكَ يَومَكَ هَذَا، ألا تَرَى حَالي وحالَ النَّاسِ؟ وَلَكِنِ ارْجعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بي قَدْ ظَهرْتُ فَأْتِنِي» قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي وقَدِمَ رَسُول الله (صلى الله عليه وسلم) المَدِينَةَ وكنتُ في أهلي فجعلتُ أتخبَّر الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة حَتَّى قَدِمَ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِي المَدِينَةَ، فقلتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ المَدِينَةَ؟ فقالوا: النَّاس إِلَيهِ سِرَاعٌ، وَقَدْ أرادَ قَومُهُ قَتْلَهُ، فلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذلِكَ، فقَدِمْتُ المدينَةَ، فَدَخَلْتُ

عَلَيهِ فقلتُ: يَا رَسُول الله أَتَعْرِفُني؟ قَالَ: «نَعَمْ، أنْتَ الَّذِي لَقَيْتَنِي بمكَّةَ» قَالَ: فقلتُ: يَا رَسُول الله، أخبِرنِي عَمَّا عَلَّمَكَ الله وأَجْهَلُهُ، أخبِرْنِي عَنِ الصَّلاَةِ؟ قَالَ: «صَلِّ صَلاَةَ الصُّبحِ، ثُمَّ اقْصُرْ عَنِ الصَّلاَةِ حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ قِيدَ رُمْحٍ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيطَان، وَحينَئِذٍ يَسجُدُ لَهَا الكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَلاَةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بالرُّمْحِ، ثُمَّ اقْصُرْ عَنِ الصَّلاةِ، فَإِنَّهُ حينئذ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ، فإذَا أَقْبَلَ الفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلاةَ مَشْهُودَةٌ مَحضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّي العصرَ، ثُمَّ اقْصرْ عَنِ الصَّلاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فإنَّهَا تَغْرُبُ بينَ قَرْنَيْ شَيطانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الكُفَّارُ»، وذكر الحديث.

قال أبو العباس[١] (رحمه الله تعالى): فقد نهى النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها معللاً بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان، وأنه حينئذ يسجد لها الكفار، ومعلوم أنَّ المؤمن لا يقصد السجود إلا لله، وأكثر الناس قد لا يعلمون أنَّ طلوعها وغروبها بين قرني شيطان، ولا أنَّ الكفار يسجدون لها، ثم أنه (صلى الله عليه وسلم) نهى عن الصلاة في هذا الوقت حسماً لمادة المشابهة، ومن هذا الباب أنه إذا صلى إلى عود أو عمود جعله على حاجبه الأيمن ولم يصمد

(١) هو شيخ الإسلام أبو العَبَّاس تَقِيُّ الدِّين أَحْمَدُ بن عَبْدِ الحَلِيم بن عَبْد السَّلَام بن تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِي ثُمَّ الدِّمَشْقِي، المولود سنة ٦٦١ هـ والمتوفى سنة ٧٢٨ هـ (قَدَّسَ اللهُ رُوحَه).

له صمداً، ولهذا يُنهى عن الصلاة إلى ما عبد من دون الله في الجملة، ولهذا نُهي عن السجود بين يدي الرجل لما فيه من مشابهة السجود لغير الله..[1] انتهى كلامه.

فلْيتأمل المؤمن الناصح لنفسه ما في هذا الحديث من العِبَر، فإنَّ الله سبحانه وتعالى يقصُّ علينا أخبار الأنبياء وأتباعهم ليكون للمؤمن من المستأخرينَ عبرة فيقيس حاله بحالهم، وقصَّ قصص الكفار والمنافقين لتجتنب من تلبَّس بها أيضاً.

فممَّا فيه من الاعتبار أنَّ هذا الأعرابي الجاهلي لـمَّا ذُكر له أنَّ رجلاً بمكة يتكلم في الدين بما يخالف الناس؛ لم يصبر حتى ركب راحلته، فقَدِم عليه وعَلِم ما عنده، لِما في قلبه من محبة الدين والخير، وهذا فُسِّر به قوله تعالى: {وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً} أي حرصاً على تعلُّم الدين {لَأَسْمَعَهُمْ} أي لأفهمهم، فهذا يدل على أنَّ عدم الفهم في أكثر الناس اليوم عدلٌ منه سبحانه، لِما يعلم في قلوبهم من عدم الحرص على تعلُّم الدين.

فتبيَّنَ أنَّ من أعظم الأسباب الموجبة لكون الإنسان من شرِّ الدواب هو عدم الحرص على تعلُّم الدين، فإذا كان هذا الجاهلي يطلب هذا

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية.

المطلب، فما عذر من ادَّعى اتِّباع الأنبياء وبَلَغَه عنهم ما بلغه وعنده من يعرض عليه التعليم، ولا يرفع بذلك رأساً؟! فإنْ حضر أو سمع فكما قال تعالى: {مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ، لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ}.

وفيه من العبر أيضاً أنه لما قال: أرسلني الله، قال: بأي شيء أرسلك؟ قال: بكذا وكذا، فتبيَّنَ أنَّ زبدة الرسالة الإلهية والدعوة النبوية، هو توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وكسر الأوثان، ومعلوم أنَّ كسرها لا يستقيم إلا بشدِّة العداوة وتجريد السيف، فتأمَّل زبدة الرسالة.

وفيه أيضاً أنه فَهِمَ المراد من التوحيد، وفَهِمَ أنه أمر كبير غريب، ولأجل هذا قال: من معك؟ قال: حرٌّ وعبد، فأجابه أنَّ جميع العلماء والعباد والملوك والعامة مخالفون له ولم يتبعه على ذلك إلا من ذكر، فهذا أوضح دليل على أنَّ الحق قد يكون مع أقل القليل وأنَّ الباطل قد يملأ الأرض.

ولله درُّ الفُضيل بن عياض حيث يقول: "لا تستوحش من الحق لقلة السالكين، ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين".

وأحسن منه قوله تعالى: {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِنَ الـمُؤْمِنِينَ}.

وفي الصحيحين «أَنَّ بَعْثَ النَّار مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ وتِسْعَمِائَة»، وفي الجنة واحد من كل ألف، ولـمَّا بكوا من هذا لـمَّا سمعوه؛ قال (صلى الله عليه وسلم): «إنها لم تكن نُبُوَّة قطُّ إلا كان بين يديها جاهِليَّة، فَيُؤْخَذُ الْعَدَدُ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنْ تَمَّتْ، وَإِلاَّ كَمُلَتْ مِنَ الْمُنَافِقِين» [قال الترمذي: حَسَنٌ صحيح].

فإذا تأمَّلَ الإنسانُ ما في هذا الحديث من صفة بدء الإسلام، ومن اتَّبع الرسول (صلى الله عليه وسلم) إذ ذاك، ثم ضمَّ إليه الحديث الآخر الذي في صحيح مسلم أنه (صلى الله عليه وسلم) قال: «بَدَأَ الْإِسْلَام غَرِيبا وَسَيَعُودُ غَرِيبا كَمَا بَدَأَ»؛ تبيَّن له الأمر إنْ هداه الله وانزاحتْ عنه الحجَّة الفرعونية: {فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى}، والحجـة القرشية {مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ}.

وقال أبو العباس -في كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) في الكلام على قوله تعالى: {وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ الله}-: ظاهره أنَّ ما ذُبح لغير الله سواء لُفظ به أو لم يلفظ؛ حرام، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه النصراني للحم وقال فيه باسم المسيح وغيره، كما أنَّ ما ذبحناه نحن متقرِّبين به إلى الله أزكى مما ذبحناه للَّحم وقلنا عليه باسم الله، فإنَّ عبادة الله بالصلاة والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور،

والعبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله، فلو ذَبَحَ لغير الله متقرِّباً إليه لَحَـرُم وإنْ قال فيه باسم الله، كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة، وإنْ كان هؤلاء مرتدينَ لا تُباح ذبائحُهم بحال، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان، وهذا ما يُفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن..

انتهى كلام الشيخ، وهو الذي يَنسبُ إليه أعداءُ الدِّين أنه لا يكفِّر المعيَّن!

فانظرْ -أرشدك الله- إلى تكفيره مَن ذبح لغير الله من هذه الأمة، وتصريحه أنَّ المنافق يصير مرتداً بذلك، وهذا في المعيَّن، إذ لا يتصور أنْ تحرم إلا ذبيحة معين.

وقال أيضاً في الكتاب المذكور: وكانت الطواغيت الكبار التي تُشدُّ إليها الرحالُ ثلاثة: (اللات، والعزَّى، ومناة)، وكلُّ واحد منها لِمصر من أمصار العرب، فكانت اللات لأهل الطائف، ذكروا أنه كان في الأصل رجلاً صالحاً يلتُّ السَّوِيقَ للحاج، فلما مات عكفوا على قبره، وأما العزى فكانت لأهل مكة قريباً من عرفات، وكانت هناك شجرة يذبحون عندها ويدعون، وأما مناة فكانت لأهل المدينة وكانت حذو قديد من ناحية الساحل.

ومن أراد أنْ يعلم كيف كانت أحوال المشركين في عبادتهم الأوثان، ويعرف حقيقة الشرك الذي ذمه الله وأنواعه، حتى يتبين له تأويل القرآن؛ فلْينظر إلى سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) وأحوال العرب في زمانه، وما ذكره الأزرقي وغيرُه في أخبار مكة من العلماء.

وكان للمشركين شجرة يعلِّقون عليها أسلحتهم ويسمونها (ذات أنواط)، فقال بعض الناس: يا رسول الله اجعلْ لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال: «اللهُ أَكْبَر! قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم»[1]، فأنكرَ (صلى الله عليه وسلم) مجرد مشابهتهم للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلِّقين عليها أسلحتهم، فكيف بما هو أعظم من ذلك من الشرك بعينه!

إلى أنْ قال: فمن ذلك عدة أمكنة بدمشق، مثل مسجد يُقال له (مسجد الكف) فيه تمثال كف يقال إنه كف علي بن أبى طالب (رضي الله عنه)، حتى هدم الله ذلك الوثن، وهذه الأمكنة كثيرة في البلاد، وفي الحجاز منها مواضع.

---

(١) حديثٌ صحيح، رواه الترمذي وغيرُه.

ثم ذكر كلاماً طويلاً في نهيه (صلى الله عليه وسلم) عن الصلاة عند القبور فقال: العلَّة لما يُفضي إليه ذلك من الشرك، ذكر ذلك الشافعي وغيره، وكذلك الأئمة من أصحاب مالك وأحمد، كأبي بكر الأثرم؛ علَّلوا بهذه العلة، وقد قال تعالى: {وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً} الآية.

ذكر ابنُ عباس وغيره من السلف أنَّ هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم، ذكر هذا البخاري في صحيحه وأهلُ التفسير كابن جرير وغيره.

ومما يبين صحة هذه العلة أنه (صلى الله عليه وسلم) لَعَنَ من يتخذ قبور الأنبياء مساجد، ومعلوم أنَّ قبور الأنبياء لا يكون ترابها نجساً، وقال عن نفسه: «اللَّهمَّ لا تجعل قبري وثناً يُعبد»[(١)].

فَعَلِمَ أنَّ نهيه عن ذلك كَنَهْيه عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها سداً للذريعة لئلا يُصلَّى في هذه الساعة، وإنْ كان المصلي لا يصلي إلا لله ولا يدعو إلا الله، لئلا يفضي ذلك إلى دعائها والصلاة لها، وكِلا

---

(١) هذا الحديث رواه الإمام مالك في الموطَّأ بهذا اللفظ، عن عطاء بن يسار، وعطاء ليس من الصحابة، بل من التابعين، إذاً فحديثه مرسل، ومراسيل التابعين ضعيفة، ولكن ورد الحديث مسنداً مرفوعاً صحيحاً بلفظ: «اللَّهمَّ لا تجعل قبري وثناً»، رواه أحمد بسندٍ قوي.

الأمرين قد وقع، فإنَّ من الناس من يسجد للشمس وغيرها من الكواكب ويدعوها بأنواع الأدعية، وهذا من أعظم أسباب الشرك الذي يضلُّ به كثير من الأولين والآخرين حتى شاع ذلك في كثير ممن ينتسب إلى الإسلام، وصنَّف بعضُ المشهورين فيه كتاباً على مذهب المشركين مثل (أبي معشر البلخي، وثابت بن قرة) وأمثالهم ممن دخل في الشرك وآمن بالطاغوت والجبت، وهم ينتسبون إلى الكتاب كما قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ}.. انتهى كلام الشيخ (رحمه الله).

فانظرْ -رحمك الله- إلى هذا الإمام الذي يَنسبُ إليه من أزاغ الله قلبه عدمَ تكفير المعيَّن؛ كيف ذكر عن مثل (الفخر الرازي) وهو من أكابر أئمة الشافعية، ومثل (أبى معشر) وهو من أكابر المشهورين من المصنفين وغيرهما أنهم كفروا وارتدوا عن الإسلام، والفخر هو الذي ذكره الشيخ في الرد على المتكلمين، لما ذكر تصنيفه الذي ذُكر هنا، قال: "وهذه ردة صريحة باتفاق المسلمين" وسيأتي كلامه إنْ شاء الله تعالى.

وتأمَّل أيضاً ما ذكرَه في اللات والعزى ومناة وجَعْلَه فعل المشركين معها هو بعينه الذي يُفعل بدمشق وغيرها، وتأمَّل قوله على حديث ذات أنواط، وهذا قوله في مجرد مشابهتهم في اتخاذ شجرة، فكيف بما هو أطم

من ذلك من الشرك بعينه؟! فهل للزائغ بعد هذا متعلق بشيء من كلام هذا الإمام؟

وأنا أذكر لفظه الذي احتجوا به على زيغهم، قال (رحمه الله تعالى): "أنا من أعظم الناس نهياً عن أنْ يُنْسَبُ مُعَيَّنٌ إلى تكفير، أو تبديع، أو تفسيق، أو معصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى" انتهى كلامه.

وهذا صفة كلامه في المسألة، في كل موضع وقفنا عليه من كلامه لا يذكر عدم تكفير المعيَّن إلا ويصله بما يزيل الإشكال أنَّ المراد بالتوقف عن تكفيره قبل أنْ تبلغه الحجة، وأما إذا بلغته حَكَمَ عليه بما تقتضيه تلك المسألة من تكفير، أو تفسيق، أو معصية.

وصرَّح (رضي الله عنه) أنَّ كلامه في غير المسائل الظاهرة، فقال في الرد على المتكلمين، لما ذكر أنَّ بعض أئمتهم توجد منه الردة عن الإسلام كثيراً؛ قال: وهذا إنْ كان في المقالات الخفية، فقد يُقال أنه فيها مخطئ ضال لم تَـقُم عليه الحجة التي يكفر تاركها، لكنْ هذا يصدر عنهم في أمور يعلم الخاصة والعامة من المسلمين أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بُعث بها وكفَّر من خالفها، مثل عبادة الله وحده لا شريك له،

ونهيه عن عبادة أحد سواه من الملائكة والنبيين وغيرهم، فإنَّ هذا أظهر شعائر الإسلام، ومثل إيجاب الصلوات الخمس وتعظيم شأنها، ومثل تحريم الفواحش والربا والخمر والميسر، ثم تجد كثيراً من رؤوسهم وقعوا فيها فكانوا مرتدين، وأبلغ من ذلك أنَّ منهم من صنَّف في دين المشركين كما فعل أبو عبد الله الرازي (يعني: الفخر الرازي)، قال: وهذه ردة صريحة باتفاق المسلمين..[1] انتهى كلامه.

فتأمَّلْ هذا وتأمَّلْ ما فيه من تفصيل الشبهة التي يذكرها أعداءُ الله، لكن من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً.

على أنَّ الذي نعتقده وندين الله به ونرجو أنْ يثبِّتنا عليه أنه لو غَلَطَ هُوَ[2] أو أجلُّ منه في هذه المسألة وهي مسألة (المسلم إذا أشرك بالله بعد بلوغ الحجة، أو المسلم الذي يفضل هذا على الموحدين، أو يزعم أنه على حق، أو غير ذلك من الكفر الصريح الظاهر الذي بيَّنه الله ورسوله وبيَّنه علماء الأمة)؛ أنا نؤمن بما جاءنا عن الله وعن رسوله من تكفيره ولو غلط من غلط، فكيف والحمد لله ونحن لا نعلم عن واحد من العلماء خلافاً في هذه المسألة، وإنما يلجأ من شاقَّ فيها إلى حجة فرعون: {فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى} أو حجة قريش: {مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ}.

---

(١) نقض المنطق، لابن تيمية.

(٢) يقصد شيخ الإسلام ابن تيمية.

وقال الشيخ (رحمه الله) في الرسالة السنية، لما ذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين وأمره (صلى الله عليه وسلم) بقتالهم، قال: فإذا كان على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وخلفائه ممن انتسب إلى الإسلام مَنْ مَرَقَ منه مع عبادته العظيمة، حتى أمر (صلى الله عليه وسلم) بقتالهم، فيعلم أنَّ المنتسب إلى الإسلام أو السنة قد يمرق أيضاً من الإسلام في هذه الأزمان، وذلك بأسباب، منها الغلو الذي ذمه الله في كتابه حيث يقول: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ}، وعلي ابن أبى طالب حرَّق الغالية من الرافضة، فأمر بأخاديد خُدَّت لهم عند باب كندة فقذفهم فيها، واتفق الصحابة على قتلهم، لكن ابن عباس كان مذهبه أنْ يُقتلوا بالسيف بلا تحريق، وهو قول أكثر العلماء وقصتهم معروفة عند العلماء.

وكذلك الغلو في بعض المشايخ، بل الغلو في علي ابن أبى طالب، بل الغلو في المسيح ونحوه، فكل من غلا في نبي، أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية، مثل أنْ يقول يا سيدي فلان انصرني، أو أغثني، أو ارزقني، أو اجبرني، أو أنا في حسبك، ونحو هذه الأقوال، فكل هذه شرك وضلال يُستتاب صاحبها، فإن تاب وإلا قتل.

فإنَّ الله سبحانه إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليُعبد وحده لا شريك له لا يجعل معه إلهاً آخر، والذين يجعلون مع الله آلهة أخرى مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا معتقدين أنها تخلق الخلائق أو تنزل المطر أو تنبت النبات، وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو صورهم ويقولون: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى الله زُلْفَى}، {وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ الله}، فبعث الله رسوله (صلى الله عليه وسلم) ينهى أنْ يُدعى أحدٌ من دونه لا دعاء عبادة، ولا دعاء استغاثة، قال تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلاً} الآية، قال: طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح وعزيراً والملائكة.

ثم ذكر (رحمة الله تعالى) آيات، ثم قال: وعبادة الله وحده لا شريك له هي أصلُ الدين، وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل ونزلت به الكتب، قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}، وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}.

وكان (صلى الله عليه وسلم) يحقِّق التوحيد ويعلِّمه أمته حتى قال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال (صلى الله عليه وسلم): «أَجَعَلْتَنِي للهَّ نِدّاً

-وفي رواية: عَدلاً-، بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَه»(١)، ونهى عن الحلف بغير الله وقال (صلى الله عليه وسلم): «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»(٢).

وقال (صلى الله عليه وسلم) في مرض موته -كما في الصحيحين-: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِد» يحذِّر ما صنعوا، وقال (صلى الله عليه وسلم): «اللَّهمَّ لا تجعل قبري وثناً يعبد»(٣)، وقال (صلى الله عليه وسلم): «لاَ تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيداً، وَلاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُوراً، وَحَيْثُما كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِي»(٤).

ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور ولا الصلاة عندها، وذلك لأن أكبر أسباب عبادة الأوثان هو تعظيم القبور، ولهذا اتفق العلماء على أنه من سلَّم على النبي (صلى الله عليه وسلم) عند قبره أنه لا يتمسَّح بحجرته ولا يقبِّلها لأنه إنما يكون ذلك لأركان البيت فلا يُشبَّه بيت المخلوق ببيت الخالق.

كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملاً إلا به ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه، قال تعالى: {إِنَّ اللهَ لا

(١) حديثٌ صحيح، رواه أحمد وغيرُه.

(٢) حديثٌ صحيح، رواه الترمذي وغيرُه.

(٣) سبق تخريجُه.

(٤) حديثٌ حسن، رواه أحمد وغيرُه.

يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} الآية، ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه، وأعظم آية في القرآن آية الكرسي: {اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}، وقال (صلى الله عليه وسلم): «مَنْ كانَ آخِرَ كَلاَمِهِ لاَ إله إِلاَّ الله دَخَلَ الجَنَّة»[1]، والإله: هو الذي تألهُهُ القلوب عبادة له واستعانة به ورجاء وخشية وإجلالا.. انتهى كلامه (رحمه الله).

فتأمَّل أول الكلام وآخره، وتأمَّلْ كلامه فيمن دعا نبياً أو ولياً، مثل أنْ يقول: يا سيدي فلان أغثني ونحوه؛ أنه يُستتاب، فإنْ تاب وإلا قُتل، هل يكون هذا إلا في المعيَّن والله المستعان، وتأمل كلامه في اللات والعزى ومناة وما ذكر بعده يتبين لك الأمر إنْ شاء الله تعالى.

وقال ابن القيم[2] (رحمه الله تعالى) في شرح المنازل[3] في باب التوبة: وأما الشرك فهو نوعان: (أكبر، وأصغر)، فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو أنْ يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحبُّ اللهَ، بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ويغضبون لمنتقص معبودهم من المشايخ أعظم

(١) حديثٌ صحيح، رواه أبو داوود وغيرُه.

(٢) هو العلَّامة أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرعي الدمشقي، المعروف بـ(ابن قيِّم الجوزية) أو (ابن القيم) اختصاراً، وُلد سنة ٦٩١ هـ وتوفي سنة ٧٥١ هـ (قَدَّسَ اللهُ رُوحَه).

(٣) يقصد كتابه: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.

مما يغضبون إذا انتقصَ أحدٌ ربَّ العالمين! وقد شاهدنا هذا وغيرُنا منهم جهرة.

وترى أحدهم قد اتخذ ذكر معبوده على لسانه ديدناً له إنْ قام وإنْ قعد وإنْ عثر وإنْ استوحش، وهو لا ينكر ذلك، ويزعم أنه باب حاجته إلى الله وشفيعه عنده، وهكذا كان عُبَّاد الأصنام سواء.

وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم، فأولئك كانت آلهتهم من الحجر، وغيرُهم اتخذوها من البشر، قال تعالى حاكياً عن أسلاف هؤلاء: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى} الآية، فهذه حال من اتخذ من دون الله ولياً يزعم أنه يقرِّبه إلى الله تعالى، وما أعزَّ من يتخلَّص من هذا! بل ما أعزَّ من لا يعادي من أنكره!

والذي قام بقلوب هؤلاء المشركين وسلفهم أنَّ آلهتهم تشفع لهم عند الله وهذا عينُ الشرك، وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه وأبطله، وأخبر أنَّ الشفاعة كلها له.

ثم ذكر الشيخ (رحمه الله) فصلاً طويلاً في تقرير هذا الشرك الأكبر.

ولكنْ تأمَّل قوله: (وما أعز من يتخلص من هذا، بل ما أعز من لا يعادي من أنكره)؛ يتبيَّن لك بطلان الشبهة التي أدلى بها الملحد، وزعم أنَّ كلام الشيخ في الفصل الثاني يدل عليها، وسيأتي تقريره إنْ شاء الله تعالى.

وذكر في آخر هذا الفصل (أعني الفصل الأول في الشرك الأكبر) الآية التي في سورة سبأ: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ} إلى قوله {إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} وتكلَّم عليها، ثم قال: والقرآن مملوء من أمثالها، ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته ويظنه في قوم قد خلوا ولم يعقبوا وارثاً، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن، كما قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): "إنما تُنقضُ عُرى الإسلام عروةً عروةً إذا نشأ في الإسلام مَنْ لا يعرف الجاهلية".

وهذا لأنه إذا لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأقره، وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية فتنتقض بذلك عرى الإسلام ويعود المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والبدعة سنة، والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان، وتجريد التوحيد، ويبدأ بتجريد متابعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عياناً، فالله المستعان.

فصل

وأما الشركُ الأصغر فَكَيَسِيرِ الرياء، والحلف بغير الله، وقول هذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا... وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حال قائله ومقصده.

ثم قال الشيخ (رحمه الله تعالى)[1] بعد ذكر الشرك الأكبر والأصغر: ومن أنواع هذا الشرك سجود المريد للشيخ، ومن أنواعه التوبة للشيخ فإنها شرك عظيم، ومن أنواعه النذر لغير الله، والتوكل على غير الله، والعمل لغير الله، والإنابة والخضوع والذل لغير الله، وابتغاء الرزق من عند غيره، وإضافة نِعَمه إلى غيره، ومن أنواعه طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم والتوجُّه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإنَّ الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلاً لمن استغاث به، وسأله أنْ يشفع له إلى الله، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده، فإنَّ الله تعالى لا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه، والله لم يجعل سؤال غيره سبباً لإذنه، وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن، والميت محتاج إلى من يدعو له كما أوصانا النبي (صلى الله عليه

(١) يقصد ابن القيم.

وسلم) إذا زرنا قبور المسلمين أنْ نترحم عليهم ونسأل الله لهم العافية والمغفرة، فَعَكَسَ المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة وجعلوا قبورَهم أوثاناً تُعبد، فجمعوا بين الشرك بالمعبود، وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد ونسبتهم إلى تنقُّص الأموات، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك، وأوليائه المؤمنين بذمهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقُّص، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، أو أنهم أمروهم به، وهؤلاء أعداء الرسل في كل زمان ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم، ولله درُّ خليله إبراهيم حيث يقول: {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ، رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ}، وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرَّد التوحيد لله، وعادى المشركين في الله وتقرَّب بمقتهم إلى الله.. انتهى كلامه.

والمراد بهذا أنَّ بعض الملحدين نَسَبَ إلى الشيخ أنَّ هذا شركٌ أصغر، وشبهته أنه ذكره في الفصل الثاني الذي ذكر في أوله الأصغر! وأنت -رحمك الله- تجد الكلام من أوله إلى آخره في الفصل الأول والثاني صريحاً لا يحتمل التأويل من وجوه كثيرة.

منها أنَّ دعاء الموتى والنذر لهم ليشفعوا له عند الله هو الشرك الأكبر الذي بعث الله النبي (صلى الله عليه وسلم) بالنهي عنه، فكفَّر من لم يتب

منه وقاتله وعاداه، وآخر ما صرَّح به قوله آنفاً (وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر... إلى آخره)، فهل بعد هذا البيان بيان، إلا العناد! بل الإلحاد!

ولكن تأمَّلْ قولَه -أرشدك الله-: (وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من عادى المشركين... إلى آخره)، وتأمَّل أنَّ الإسلام لا يصحُّ إلا بمعاداة أهل الشرك الأكبر، وإنْ لم يعاديهم فهو منهم وإنْ لم يفعله.

وقد ذكر في الإقناع عن الشيخ تقي الدين: (أنَّ مَنْ دعا علي ابن أبي طالب فهو كافر، وأنَّ من شكَّ في كفره فهو كافر)، فإذا كان هذا حال من شكَّ في كفره مع عداوته له ومقته، فكيف بمن يعتقد أنه مسلم ولم يعاده! فكيف بمن أحبه! فكيف بمن جادل عنه وعن طريقته! وتعذَّر أنا لا نقدر على التجارة وطلب الرزق إلا بذلك!

وقد قال تعالى: {وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا}، فإذا كان هذا قول الله تعالى فيمن تعذَّر عن النبيين بالعمل بالتوحيد ومعاداة المشركين بالخوف على أهله وعياله؛ فكيف بمن اعتذر في ذلك بتحصيل التجارة، ولكن الأمر كما تقدَّم عن عمر: (إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية)، لهذا لم يعرف معنى القرآن، وأنه أشرُّ وأفسد من الذين قالوا: {وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا} الآية.

ومع هذا؛ فالكلام الذي يظهرونه نفاقاً، وإلا فهم يعتقدون أنَّ أهل التوحيد ضالون مضلون، وأنَّ عبدة الأوثان أهل الحق والصواب، كما صرَّح به إمامُهم في الرسالة التي أتتكم قبل هذه -خطّه بيده- يقول: (بيني وبينكم أهل الأقطار وهم خير أمة أخرجت للناس، وهم كذا وكذا)، فإذا كان يريد التحاكم إليهم ويصفهم بأنهم خير أمة أخرجت للناس، فكيف أيضاً يصفهم بشرك ومخالطتهم للحاجة! وما أحسن قول أصدق القائلين: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ، إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ، يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ}، {بَلْ كَذَّبُوا بالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ}.

فرحم الله امرءاً نظر في نفسه وتفكَّر فيما جاء به محمد (صلى الله عليه وسلم) مِنْ عند الله من معاداة مَنْ أشرك بالله مِنْ قريبٍ أو بعيد وتكفيرهم وقتالهم حتى يكون الدين كله لله، وعلم ما حَكَمَ به محمد (صلى الله عليه وسلم) فيمن أشرك بالله مع ادعائه الإسلام، وما حكم في ذلك الخلفاء الراشدون كعلي ابن أبي طالب (رضي الله عنه) وغيره لـمَّا حرقهم بالنار مع أنَّ غيرهم من أهل الأوثان الذين لم يدخلوا في الإسلام لا يقتلون بالتحريق، والله الموفق.

وقال أبو العباس أحمد ابن تيمية في الرد على المتكلمين، لما ذكر بعض أحوال أئمتهم، قال: وكلُّ شرك في العالم إنما حدث برأي جنسهم، فهم

الآمرون بالشرك والفاعلون له، ومن لم يأمر منهم بالشرك فلم ينهَ عنه، بل يقرُّ هؤلاء وهؤلاء، وإنْ رجَّح الموحدون ترجيحاً ما؛ فقد يرجح غيرَه المشركون، وقد يعرض عن الأمرين جميعاً، فتدبَّر هذا فإنه نافع جداً.

ولهذا كان رؤوسهم المتقدمون والمتأخرون يأمرون بالشرك، وكذلك الذين كانوا في ملة الإسلام لا ينهون عن الشرك ويوجبون التوحيد بل يسوِّغون الشرك، أو يأمرون به، أو لا يوجبون التوحيد، وقد رأيتُ من مصنفاتهم في عبادة الملائكة وعبادة الأنفس المفارقة -أنفس الأنبياء وغيرهم- ما هو أصل الشرك.

وهم إذا ادَّعوا التوحيد إنما توحيدُهم بالقول لا بالعبادة والعمل، والتوحيد الذي جاءت به الرسل لا بدَّ فيه من التوحيد بإخلاص الدين لله وعبادته وحده لا شريك به، وهذا شيء لا يعرفونه، فلو كانوا موحدين بالقول والكلام لكان معهم التوحيد دون العمل، وذلك لا يكفي في السعادة والنجاة بل لا بدَّ أنْ يعبد الله وحده ويتخذه إلهاً دون ما سواه، وهذا هو معنى قول (لا إله إلا الله).. انتهى كلام الشيخ.

فتأمَّلْ -رحمك الله- هذا الكلام فإنه مثل ما قال الشيخ فيه: (نافع جداً)، ومن أكبر ما فيه من الفوائد أنه يبيِّن لك حال من أقرَّ بهذا الدين، وشهد أنه الحق، وأنَّ الشرك هو الباطل، وقال بلسانه ما أريد منه، ولكن

لا يدين بذلك، إما بغضاً له أو عدم محبته، كما هي حال المنافقين الذين بين أظهرنا، وإما إيثار الدنيا مثل تجارة أو غيرها فيدخلون في الإسلام ثم يخرجون منه، كما قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا} الآية، وقال تعالى: {مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ} إلى قوله: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ}، فإذا قال هؤلاء بألسنتهم نشهد أنَّ هذا دين الله ورسوله، وأنَّ المخالف له باطل، وأنه الشرك بالله؛ غرَّ هذا الكلام ضعيف البصيرة.

وأعظمُ من هذا وأطم أنَّ أهلَ حريملاء ومَنْ والاهم يصرِّحون بمسبَّة الدِّين، وأنَّ الحق ما عليه أكثر الناس، يستدلون بالكثرة على حسن ما هم عليه من الدين، ويفعلون ويقولون ما هو من أكبر الردة وأفحشها، فإذا قالوا: التوحيد حق والشرك باطل وأيضاً لم يحدثوا في بلدهم أوثاناً؛ جادل الملحد عنهم وقال: أنهم يقرُّون أنَّ هذا شرك، وأنَّ التوحيد هو الحق، ولا يضرهم عندهم ما هم عليه من السبِّ لدين الله، وبغي العوج له، ومدح الشرك وذبهم دونه بالمال واليد واللسان! فالله المستعان.

وقال أبو العباس أيضاً -في الكلام على كفر مانعي الزكاة-: والصحابة لم يقولوا هل أنت مقرٌّ بوجوبها أو جاحد لها، هذا لم يُعهد عن الخلفاء والصحابة، بل قال الصدِّيق لعمر (رضي الله عنهما): "وَالله لَوْ

مَنَعُونِي عِقَالاً -أو عَنَاقاً-[1] كَانوا يُؤَدُّونَهَا إِلى رَسُولِ الله (صلى الله عليه وسلم) لَقاتَلْتُهُمْ عَلى مَنْعِه"[2]، فجعل المبيح للقتال مجرد المنع لا جحد الوجوب، وقد رُوي أنَّ طوائف منهم كانوا يقرُّون بالوجوب لكن بخلوا بها، ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم جميعهم سيرة واحدة، وهي: (قتل مقاتلتهم، وسبي ذراريهم، وغنيمة أموالهم)، والشهادة على قتلاهم بالنار، وسموهم جميعهم أهل الردة.

وكان من أعظم فضائل الصديق (رضي الله عنه) عندهم أنْ ثبته الله عند قتالهم ولم يتوقف كما توقف غيره، فناظرهم حتى رجعوا إلى قوله، وأما قتال المقرِّين بنبوة مسيلمة، فهؤلاء لم يقع بينهم نزاع في قتالهم.. انتهى.

فتأمَّلْ كلامه (رحمه الله) في تكفير المعيَّن والشهادة عليه إذا قُتل بالنار وسبي حريمه وأولاده عند منع الزكاة، فهذا الذي ينسب عنه أعداءُ الدين عدم تكفير المعيَّن.

وقال (رحمه الله) بعد ذلك: وكُفرُ هؤلاء وإدخالهُم في أهل الردة قد ثبت باتفاق الصحابة المستند إلى نصوص الكتاب والسنة.. انتهى كلامه.

---

(١) العِقال: هو الحبل الذي تُعقل -تُربط- به الناقة، أما العَناق: فهو ولد الماعز.

(٢) متفقٌ عليه.

ومن أعظم ما يحلُّ الإشكال في مسألة التكفير والقتال عمَّن قصد اتباع الحق: إجماع الصحابة على قتال مانعي الزكاة وإدخالهم في أهل الردة وسبي ذراريهم، وفعلهم فيهم ما صحَّ عنهم، وهو أول قتال وقع في الإسلام على من ادَّعى أنه من المسلمين، فهذه أول وقعة وقعت في الإسلام على هذا النوع، أعني المدَّعين للإسلام، وهي أوضح الوقعات التي وقعت من العلماء عليهم، من عصر الصحابة إلى وقتنا هذا.

وقال الإمام أبو الوفاء ابنُ عقيل: لما صَعُبَتِ التكاليفُ على الجهَّال والطغام، عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهُلتْ عليهم إذْ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، وهم عندي كفار بهذه الأوضاع، مثل تعظيم القبور، وخطاب الموتى بالحوائج، وكتب الرقاع فيها (يا مولاي افعل بي كذا وكذا) وإلقاء الخرق على الشجر اقتداءً بمن عبد اللات والعزى..[١] انتهى كلامه، والمراد منه قوله: (وهم عندي كفار بهذه الأوضاع).

وقال أيضاً في كتاب الفنون[٢]: لقد عظَّم الله الحيوان لا سيما ابن آدم، حيث أباحه الشرك عند الإكراه، فمن قدَّم حرمة نفسك على حرمته حتى أباحك أنْ تتوقَّى عن نفسك بذكره بما لا ينبغي له سبحانه؛ لَحَقيقٌ أنْ

---

(١) نقله عنه: ابن الجوزي في تلبيس إبليس، وابن القيم في إغاثة اللهفان، ولم نقف عليه في كتاب لأبي الوفاء.

(٢) يقصد أبو الوفاء.

تُعظم شعائرُه وتُوقَّر أوامرُه وزواجرُه، وعظَّم عرضك بإيجاب الحد بقذفك وعظَّم مالَك بقطع يد مسلم في سرقته، وأسقطَ شطر الصلاة في السفر لأجل مشقتك، وأقام مسح الخف مقام غسل الرجل إشفاقاً عليك من مشقة الخلع واللبس، وأباحك الميتة سداً لرمقك وحفظاً لصحتك، وزجرك عن مضارك بحدٍّ عاجل ووعيد آجل، وخرق العوائد لأجلك، وأنزل الكتب إليك، أَيَحْسُنُ لك مع هذا الإكرام أنْ يراك على ما نهاك منهمكاً! ولِـما أمرك تاركاً! وعلى ما زجرك مرتكباً! وعن داعيه معرضاً! ولداعي عدوه فيك مطيعاً! يعظمك وهو هو، وتهمل أمره وأنت أنت! هو حطَّ رتبة عباده لأجلك، وأهبط إلى الأرض من امتنع عن سجدة يسجدها لأبيك.

هل عاديتَ خادماً طالتْ خدمته لك لترك صلاة؟ هل نفيته من دارك للإخلال بفرض أو لارتكاب نهي؟

فإنْ لم تعترف اعتراف العبد للموالي، فلا أقلَّ أنْ تقتضي نفسك إلى الحق سبحانه اقتضاء المساوي المكافي.

ما أفحش ما تلاعب الشيطان بالإنسان، بينا هو بحضرة الحق سبحانه وملائكة السماء سجود له، ترامى به الأحوال والجهات إلى أنْ يوجد ساجداً لصورة في حجر، أو لشجرة من الشجر، أو لشمس أو

لقمر، أو لصورة ثور خار، أو لطائر صفَّر، ما أفحش زوال النعم، وتغير الأحوال، والحَوْر بعد الكَوْر!

لا يليق بهذا الحي الكريم الفاضل على جميع الحيوانات أنْ يُرى إلا عابداً لله في دار التكليف، أو مجاوراً لله في دار الجزاء والتشريف، وما بين ذلك فهو واضع نفسه في غير موضعها.. انتهى كلامه.

والمراد منه أنه جعل أقبح حال وأفحشها من أحوال الإنسان أنْ يشرك بالله، ومثَّله بأنواع، منها السجود للشمس أو للقمر، ومنها السجود للصورة كما في الصور التي على القبور، والسجود قد يكون بالجبهة على الأرض، وقد يكون بالانحناء من غير وصول إلى الأرض، كما فسر به قوله تعالى: {وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً} قال ابن عباس: ركعاً.

وقال ابن القيم -في إنكار تعظيم القبور-: وقد آلَ الأمرُ بهؤلاء المشركين أنْ صنَّف بعضُ غُلاتِهم في ذلك كتاباً سمّاه (مناسك المشاهد) ولا يخفى أنَّ هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول في دين عُبَّاد الأصنام..[1] انتهى.

وهذا الذي ذكره ابنُ القيم، رجل من المصنِّفين يُقال له (ابن المفيد)، فقد رأيتَ ما قال فيه بعينه، فكيف ينكر تكفير المعيَّن!

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم.

وأما كلام سائر أتباع الأئمة في التكفير، فنذكر منه قليلاً من كثير:

أما كلام الحنفية فكلامهم في هذا من أغلظ الكلام، حتى إنهم يكفِّرون المعيَّن إذا قال: مُصَيْحف أو مُسَيْجد، أو صلَّى صلاة بلا وضوء، ونحو ذلك.

وقال في النهر الفائق[1]: وعَلِمَ أنَّ الشيخ قاسماً، قال في شرح دُرر البحار: إنَّ النذر الذي يقع من أكثر العوام بأنْ يأتي إلى قبر بعض الصُلحاء قائلاً: (يا سيدي فلان إنْ رُدَّ غائبي أو عوفي مريضي فلك من الذهب أو الفضة أو الشمع أو الزيت كذا) باطلٌ إجماعاً لوجوه.. إلى أنْ قال: ومنها ظنُّ أنَّ الميت يتصرف في الأمر، واعتقاد هذا كفر، إلى أنْ قال: وقد ابتُلي الناس بذلك، لا سيما في مولد الشيخ أحمد البدوي.. انتهى كلامه.

فانظرْ إلى تصريحه (إنَّ هذا كفر)، مع قوله (أنه يقع من أكثر العوام)، وأنَّ أهل العلم قد ابتلوا بما لا قدرة لهم على إزالته.

(١) النهر الفائق شرح كنز الدقائق، للعلامة سراج الدين عمر بن إبراهيم بن نجيم الحنفي المتوفي سنة ١٠٠٥ هـ.

وقال القرطبي (رحمه الله)، لـمَّا ذكر سماع النقر أو صورته، قال: هذا حرامٌ بالإجماع، وقد رأيتُ فتوى شيخ الإسلام، جمال الملة أنَّ مستحلَّ هذا كافر، ولما علم أنَّ حرمته بالإجماع لزم أنْ يكفر مستحلُّه[1].

فقد رأيتَ كلام القرطبي وكلام الشيخ الذي نقل عنه في كفر من استحلَّ السماع والرقص مع كونه دون ما نحن فيه بالإجماع بكثير.

وقال أبو العباس (رحمه الله): حدثني ابنُ الخضيري عن والده الشيخ الخضيري إمام الحنفية في زمانه قال: كان فقهاء بخارى يقولون في (ابن سينا): "كان كافراً ذكياً"[2].

فهذا إمام الحنفية في زمنه حكى عن فقهاء بخاري جملةً كفرَ ابن سينا[3]، وهو رجل معيَّن مصَنَّف يتظاهر بالإسلام.

وأما كلام المالكية في هذا فهو أكثر مِنْ أنْ يُحصر، وقد اشتُهر عن فقهائهم سرعة الفتوى والقضاء بقتل الرجل عند الكلمة التي لا يفطن لها أكثر الناس، وقد ذَكَرَ القاضي عياض في آخر كتاب الشفا من ذلك

(١) قول الإمام القرطبي هذا نقله عنه محمد بن شهاب البزاز الكردري في كتابه (الجامع الوجيز في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان) المعروف بـ(الفتاوى البزازية)، ولم نقف عليه في كتاب للقرطبي.

(٢) نقض المنطق، لابن تيمية.

(٣) هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا ولد في بخارى سنة ٣٧٠ هـ وتوفي في همذان (إيران حالياً) سنة ٤٢٧ هـ (عليه من الله ما يستحق)، وهو طبيب وفيلسوف زنديق، من القرامطة الباطنيين، كان يُظهر الرفض ويبطن الإلحاد، وقد صرَّح بتكفيره عدد كبير من العلماء.

طَرَفاً، ومما ذَكَرَ أنَّ مَنْ حَلَفَ بغير الله على وجه التعظيم كفر، وكل هذا دون ما نحن فيه بما لا نسبة بينه وبينه[١].

وأما كلام الشافعية، فقال صاحبُ الروضة (رحمه الله): "إنَّ المسلم إذا ذبح للنبي (صلى الله عليه وسلم) كفر"، وقال أيضاً: "مَنْ شكَّ في كفر طائفة ابن عربي فهو كافر".. وكل هذا دون ما نحن فيه.

وقال ابنُ حجر، في شرح الأربعين[٢] على حديث ابن عباس (إذا سألتَ فاسأل الله): وما معناه إنَّ مَن دعا غيرَ الله فهو كافر، وصنَّف في هذا النوع كتاباً مستقلاً سمَّاه (الإعلام بقواطع الإسلام) ذَكَرَ فيه أنواعاً كثيرة من الأقوال والأفعال، كل واحد منها ذكر أنه يُخرِج من الإسلام ويكفر به المعيَّن.. وغالبه لا يساوي عُشَير معشار ما نحن فيه.

وتمام الكلام في هذا أنْ يُقال: الكلام هنا في مسألتين:

الأولى: أنْ يُقال: هذا الذي يفعله كثير من العوام عند قبور الصالحين، ومع كثير من الأحياء والأموات والجن، من التوجُّه إليهم ودعائهم لكشف الضر والنذر لهم لأجل ذلك، هل هو الشرك الأكبر الذي فعله قومُ نوح ومَنْ بعدهم إلى أنْ انتهى الأمر إلى قوم خاتم الرسل

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض.

(٢) يقصد: كتاب شرح الأربعون النووية، للحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني.

قريش وغيرهم، فبعث الله الرسل وأنزل الكتب ينكر عليهم ذلك ويكفِّرهم ويأمر بقتالهم حتى يكون الدين كله لله؟ أم هذا شرك أصغر، وشرك المتقدمين غير هذا؟

فاعلمْ أنَّ الكلام في هذه المسألة سهل على من يسره الله عليه، بسبب أنَّ علماء المشركين اليوم يُقرُّون أنه الشرك الأكبر ولا ينكرونه إلا ما كان من مسيلمة الكذاب وأصحابه كابن إسماعيل وابن خالد مع تناقضهم في ذلك واضطرابهم.

فأكثر أحوالهم يقرُّون أنه الشرك الأكبر ولكن يعتذرون بأنَّ أهله لم تبلغهم الدعوة، وتارةً يقولون: لا يكفر إلا مَنْ في زمن النبي (صلى الله عليه وسلم)، وتارة يقولون: أنه شرك أصغر وينسبونه لابن القيم في المدارج كما تقدم، وتارةً لا يذكرون شيئاً من ذلك، بل يعظِّمون أهله وطريقتهم في الجملة، وأنهم خير أمة أخرجت للناس، وأنهم العلماء الذين يجب ردُّ الأمر عند التنازع إليهم.. وغير ذلك من الأقاويل المضطربة.

وجواب هؤلاء كثير في الكتاب، والسنة، والإجماع، ومن أصرح ما يُـجَاوَبون به إقرارهم في غالب الأوقات أنَّ هذا هو الشرك الأكبر،

وأيضاً إقرار غيرهم من علماء الأقطار، مع أنَّ أكثرهم قد دخل في الشرك وجاهد أهل التوحيد، لكنْ لم يجدوا بُدّاً من الإقرار به لوضوحه.

المسألة الثانية: الإقرار بأنَّ هذا هو الشرك الأكبر ولكنْ لا يكفر به إلا من أنكر الإسلام جملةً، وكذَّب الرسول والقرآن، واتبع اليهودية أو النصرانية أو غيرهما، وهذا هو الذي يجادلُ به أهلُ الشرك والعناد في هذه الأوقات، وإلَّا المسألة الأولى قلَّ الجدال فيها ولله الحمد لِما وقع من إقرار العلماء المشركين بها.

فاعلمْ أنَّ تصور هذه المسألة تصوراً حسناً يكفي في إبطالها من غير دليل خاص لوجهين:

الأول: أنَّ مقتضى قولهم أنَّ الشرك بالله وعبادة الأصنام لا تأثير لها في التكفير، لأنَّ الإنسان إنْ انتقل عن الملة إلى غيرها وكذَّب الرسول والقرآن فهو كافر وإنْ لم يعبد الأوثان كاليهود، فإذا كان من انتسب إلى الإسلام لا يكفر إذا أشرك الشرك الأكبر لأنه مسلم يقول (لا إله إلا الله) ويصلي ويفعل كذا وكذا؛ لم يكن للشرك وعبادة الأوثان تأثير، بل يكون ذلك كالسواد في الخِلقة أو العمى أو العرج، فإنْ كان صاحبُها يدَّعي الإسلام فهو مسلم، وإنْ ادَّعى ملة غيرها فهو كافر، وهذه فضيحة عظيمة كافية في رد هذا القول الفظيع!

الوجه الثاني: أنَّ معصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الشرك وعبادة الأوثان بعد بلوغ العلم كفرٌ صريحٌ بالفِطَر والعقول والعلوم الضرورية، فلا يُتصور أنك تقول لرجل -ولو هو من أجهل الناس أو أبلدهم-: ما تقول فيمن عصى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولم يَنْـقَدْ له في ترك عبادة الأوثان والشرك، مع أنه يدَّعي أنه مسلم متَّبع؟؛ إلا ويبادر بالفطرة الضرورية إلى القول: بأنَّ هذا كافر من غير نظر في الأدلة أو سؤال أحد من العلماء.

ولكن لِغَلبة الجهل وغُربة العلم وكثرة من يتكلَّم بهذه المسألة من الملحدين؛ اشتبه الأمرُ فيها على بعض العوام من المسلمين الذين يُحبُّون الحق.

فلا تحقرْها وأمعِنْ النظر في الأدلة التفصيلية؛ لعلَّ الله أنْ يَمَنَّ عليك بالإيمان الثابت ويجعلك من الأئمة الذين يهدون بأمره.

فَمِنْ أحسن ما يزيل الإشكال فيها ويزيد المؤمن يقيناً، ما جرى من النَّبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابِه والعلماء بعدهم فيمن انتسب إلى الإسلام، كما ذُكر أنه (صلى الله عليه وسلم) بعث البراء ومعه الراية إلى رجل تزوج امرأةَ أبيه ليقتله ويأخذ ماله.

ومثلُ هَـمِّه بغزو بني المصطلق لـمَّا قيل أنهم منعوا الزكاة.

ومثلُ قتال الصديق وأصحابه لمانعي الزكاة وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم وتسميتهم مرتدين.

ومثل إجماع الصحابة في زمن عمر على تكفير قُدامة بن مظعون وأصحابه إنْ لم يتوبوا لِما فهموا من قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا} حِل الخمر لبعض الخواص.

ومثل إجماع الصحابة في زمن عثمان (رضي الله عنه) في تكفير أهل المسجد الذين ذكروا كلمة في نبوة مسيلمة مع أنهم لم يتبعوه، وإنما اختلف الصحابة في قبول توبتهم.

ومثل تحريق علي (رضي الله عنه) أصحابه لما غَلَوا فيه.

ومثل إجماع التابعين مع بقية الصحابة على كفر المختار بن أبي عبيد ومن اتبعه، مع أنه يدَّعي أنه يطلب بدم الحسين وأهل البيت.

ومثل إجماع التابعين ومن بعدهم على قتل الجعد بن درهم وهو مشهور بالعلم والدين.

وهَلُمَّ جرّاً من وقائع لا تعدُّ ولا تُحصى.

ولم يقلْ أحدٌ من الأولين والآخرين لأبي بكر الصديق وغيره: كيف تقتل بني حنيفة وهم يقولون (لا إله إلا الله)، ويصلون، ويزكون؟!

وكذلك لم يستشكل أحد تكفير قدامة وأصحابه لو لم يتوبوا.

وهَلُمَّ جرَّاً إلى زمن بني عُبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر والشام وغيرها، مع تظاهرهم بالإسلام وصلاة الجمعة والجماعة ونصب القضاة والمفتيين؛ لـمَّا أظهروا من الأقوال والأفعال ما أظهروا؛ لم يستشكل أحد من أهل العلم والدِّين قتالهم، ولم يتوقفوا فيه، وهم في زمن ابن الجوزي والموفَّق، وصنَّف ابن الجوزي كتاباً لما أخذت مصر منهم سماه (النصر على مصر).

ولم يسمع أحد من الأولين والآخرين أنَّ أحداً أنكر شيئاً من ذلك أو استشكلَ لأجل ادعائهم الملة، أو لأجل قول (لا إله إلا الله)، أو لأجل إظهار شيء من أركان الإسلام، إلا ما سمعناه من هؤلاء الملاعين في هذه الأزمان من إقرارهم أنَّ هذا هو الشرك، ولكن من فعله أو حسَّنه، أو كان مع أهله أو ذمَّ التوحيد، أو حارب أهله لأجله، أو أبغضهم لأجله؛ إنه لا يكفر، لأنه يقول (لا إله إلا الله)، أو لأنه يؤدي أركان الإسلام الخمسة، ويستدلون بأنَّ النَّبي (صلى الله عليه وسلم) سماها الإسلام!

هذا لم يُسمع قط إلا مِن هؤلاء الملحدين الجاهلين الظالمين، فإنْ ظفروا بحرف واحد من أهل العلم أو أحد منهم يستدلون به على قولهم الفاحش الأحمق فليذكروه، ولكن الأمر كما قال اليمني في قصيدته:

أقاويلُ لا تُعزى إلى عالمٍ، فلا ... تساوي فَلساً إنْ رجعت إلى نقد

ولْنختم الكلام في هذا النوع بما ذكره البخاري في صحيحه حيث قال: (باب تَغْيِيرِ الزَّمَانِ حَتَّى تُعْبَدَ الْأَوْثَان)، ثم ذكر بإسناده قوله (صلى الله عليه وسلم): «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلْيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الْخَلَصَة»، وَذُو الْخَلَصَة: صنمٌ لدوس يعبدونه، فقال (صلى الله عليه وسلم) لجرير بن عبد الله: «ألا تُريحني مِنْ ذِي الْخَلَصَة» فركب إليه بمن معه فأحرقه وهدمه، ثم أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) فأخبره، قال: فَبَرَّكَ رسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) عَلَى خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا خمساً.

وعادة البخاري (رحمه الله) إذا لم يكن الحديث على شرطه ذَكَرَه في الترجمة، ثم أتى بما يدل على معناه مما هو على شرطه، ولفظ الترجمة وهو قوله (تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان) لفظ حديث أخرجه غيرُه من الأئمة والله سبحانه وتعالى أعلم.

ولْنذكر من كلام الله تعالى، وكلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وكلام أئمة العلم جُمَلاً في جهاد القلب واللسان ومعاداة أعداء الله وموالاة أوليائه، وأنَّ الدِّين لا يصحُّ ولا يدخل الإنسان فيه إلا بذلك، فنقول:

باب
في وجوب عداوة أعداء الله من الكفار والمرتدِّين والمنافقين

وقول الله تعالى: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ الله يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ}، وقوله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ} إلى قوله: {كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِالله وَحْدَهُ}، وقوله تعالى: {لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ الله وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ}.

وقال الإمام الحافظ محمد بن وضاح(١):

أخبرني غير واحد، أنَّ أسد بن موسى، كتب إلى أسد بن الفرات: اعلمْ يا أخي أنَّ ما حملني على الكتاب إليك ذكرُ أهل بلدك من صالح ما أعطاك الله من إنصافك الناس، وحسن حالك مما أظهرتَ من السنَّة، وعيبُك لأهل البدع وكثرة ذكرك لهم وطعنك عليهم، فَقَمَعَهم الله بك وشدَّ بك ظهر أهل السنَّة، وقوَّاك عليهم بإظهار عيبهم والطعن عليهم،

(١) البدع والنهي عنها، للحافظ أبي عبد الله محمد بن وضاح الأندلسي المتوفى سنة ٢٨٧ هـ.

فأذلَّهم الله بيدك، وصاروا ببدعتهم مستترين، فأبشر يا أخي بثواب ذلك واعتد به من أفضل حسناتك، من الصلاة والصيام والحج والجهاد، وأين تقع هذه الأعمال من إقامة كتاب الله تعالى وإحياء سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)! وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «من أحيا شيئاً من سنتي كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وضم بين إصبعيه»[1]، وقال (صلى الله عليه وسلم): «أَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى هُدىً فَاتُّبِعَ؛ فَإِنَّ لَهُ مِثْلَ أُجُورِ مَنِ اتَّبَعَهُ، لاَ يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا»[2]، فمتى يُدرك أجر هذا بشيء من عمله!

وذَكَر أيضاً: أنَّ لله عند كل بدعة كِيدَ بها الإسلامُ ولياً يذبُّ عنها وينطق بعلامتها.

فاغتنمْ -يا أخي- هذا الفضل وكُنْ من أهله فإنَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن وأوصاه: لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيرٌ لَكَ من كذا وكذا، وأعْظَمَ القولَ فيه[3].

---

(١) لم نعثر عليه بهذا اللفظ، لكننا وجدنا حديثاً بلفظ: «من تمسك بسنتي بعد فساد أمتي فله أجر مائة شهيد»، رواه ابن عدي في الكامل والبيهقي في الزهد، وهو حديث ضعيف.

(٢) هذا الحديث رواه ابنُ ماجة، وصحَّحه الترمذي، لكنَّ الهيثمي والبوصيري ضعَّفاه، ولمسلم نحوه بلفظ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا».

(٣) هذا الحديث مرويٌّ بحقِّ معاذ ومرويٌّ بحقِّ علي (رضي الله عنهما)، وما رُويَ بحقِّ معاذ رواه أحمد في مسنده عن معاذ بن جبل أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال له لـمَّا بعثه إلى اليمن: «يا معاذ، لأن يهدى الله على يديك رجلاً من أهل

فاغتنمْ ذلك وادعُ إلى السنَّة حتى يكون لك في ذلك أُلفة وجماعة يقومون مقامك إنْ حدث بك حدث، فيكونوا أئمةً بعدك، فيكون لك ثواب ذلك إلى يوم القيامة، كما جاء في الأثر.

فاعملْ على بصيرة ونية وحسبة، فيردُّ الله بك المبتدع المفتون الزائغ الحائر، فتكون خلفاً من نبيك (صلى الله عليه وسلم)، فإنك لن تلقى الله بعمل يشبهه.

وإياك أنْ يكون لك من أهل البدع أخ أو جليس أو صاحب؛ فإنه جاء في الأثر: "من جالس صاحب بدعة نزعتْ منه العصمة وَوُكِل إلى نفسه، ومن مشى إلى صاحب بدعة مشى في هدم الإسلام"، وجاء: "ما من إله يُعبد من دون الله أبغض إلى الله من صاحب هوى".

وقد وقعت اللعنة من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على أهل البدع، وأنَّ الله لا يقبل منهم صرفاً ولا عدلاً ولا فريضة ولا تطوعاً، وكلما زادوا اجتهاداً أو صوماً وصلاة؛ ازدادوا من الله بعداً.

الشرك، خيرٌ لك من أنْ يكون لك حمر النعم»، وهذا إسنادٌ منقطعٌ ضعيفٌ جداً، أما ما رُويَ بحقٍّ علي بن أبي طالب، فرواه الشيخان عن سهل بن سعد الساعدي (رضي الله عنه): أنَّ رسولَ الله (صلى الله عليه وسلم) قَالَ لعلي يوم خَيبَرَ: «فَوَالله لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَم».

فارفضْ مجالسَهم وأذِلَّهم وأبعدهم كما أبعدهم الله وأذَلَّهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأئمة الهدى بعده.. انتهى كلام أسد (رحمه الله تعالى).

واعلمْ -رحمك الله- أنَّ كلامه وما يأتي من كلام أمثاله من السلف في معاداة أهل البدع والضلالة؛ في ضلالةٍ لا تخرج عن الملة، لكنهم شدَّدوا في ذلك و حذَّروا منه لأمرين:

الأول: غِلَظُ البدعة في الدين في نفسها، فهي عندهم أجلُّ من الكبائر، ويعاملون أهلها بأغلظ مما يعاملون به أهل الكبائر، كما تجد في قلوب الناس اليوم أنَّ الرافضي عندهم -ولو كان عالماً عابداً- أبغض وأشد من السني المجاهر بالكبائر.

الأمر الثاني: أنَّ البدع تجرُّ إلى الردَّة الصريحة، كما وُجد من كثير من أهل البدع.

فمثال البدعة التي شدَّدوا فيها، مثل تشديد النبي (صلى الله عليه وسلم) فيمن عَبَدَ الله عند قبر رجل صالح خوفاً مما وقع من الشرك الصريح الذي يصير به المسلم مرتداً.

فمَن فهم هذا؛ فهم الفرق بين البدع وبين ما نحن فيه من الكلام في الردة ومجاهدة أهلها، أو النفاق الأكبر ومجاهدة أهله، وهذا هو الذي

نزلت فيه الآيات المحكمات، مثل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} الآية، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ، يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ} الآية.

وقال ابنُ وضاح في كتاب البدع والحوادث بعد حديث ذكره: أنه سيقع في هذه الأمة فتنة الكفر وفتنة الضلال، قال (رحمه الله): إنَّ فتنة الكفر هي الردة، يحلُّ فيها السبي والأموال، وفتنة الضلالة لا يحلُّ فيها السبي والأموال، وهذا الذي نحن فيه فتنة ضلالة لا يحل فيها السبي ولا الأموال.

وقال (رحمه الله) أيضاً: أخبرنا أسد أخبرنا رجل عن ابن المبارك قال: قال ابن مسعود: "إنَّ لله عند كل بدعة كِيدَ بها الإسلامُ ولياً من أوليائه يذبُّ عنه وينطق بعلامتها، فاغتنموا حضور تلك المواطن وتوكلوا على الله"، وقال ابنُ المبارك: "وكفى بالله وكيلاً".

ثم ذكر بإسناده عن بعض السلف قال: "لَأنْ أردَّ رجلاً عن رأي سيئ أحبُّ إليَّ من اعتكاف شهر".

أخبرنا أسد عن أبي إسحاق الحذَّاء عن الأوزاعي قال: "كان بعض أهل العلم يقولون: لا يقبل الله من ذي بدعة صلاة، ولا صدقة، ولا صياماً، ولا جهاداً، ولا حجاً، ولا صرفاً، ولا عدلاً".

وكانت أسلافكم تشتدَّ عليهم ألسنتهم وتشمئزُّ منهم قلوبهم ويحذِّرون الناس بدعتهم.

قال: "ولو كانوا مستترين ببدعتهم دون الناس ما كان لأحدٍ أنْ يهتك ستراً عليهم، ولا يظهر منهم عورة، الله أولى بالأخذ بها وبالتوبة عليها، فأما إذا جاهروا به فنشر العلم حياة، والبلاغ عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رحمة يعتصم بها على مُصِرٍّ ملحد".

ثم روى بإسناده قال: "جاء رجل إلى حذيفة، وأبو موسى الأشعري قاعدٌ، فقال: أرأيتَ رجلاً ضرب بسيفه غضباً لله حتى قتل، أفي الجنة أم في النار؟ فقال أبو موسى: في الجنة، فقال حذيفة: استفهم الرجل وَأَفْهِمْهُ ما تقول، حتى فعل ذلك ثلاث مرات، فلما كان في الثالثة قال: والله لا تَسْتَفْهِمُهُ، فدعا به حذيفة فقال: رويدك، وما يدريك، إنَّ صاحبك لو ضرب بسيفه حتى ينقطع فأصاب الحق حتى يُقتل عليه فهو في الجنة، وإنْ لم يصب الحق ولم يوفقه الله للحق فهو في النار؟ ثم قال: والذي نفسي بيده لَيَدخُلَنَّ النار في مثل الذي سألتَ عنه أكثر من كذا وكذا".

ثم ذكر بإسناده عن الحسن قال: "لا تجالس صاحب بدعة فإنه يُمرض قلبك".

ثم ذكر بإسناده عن سفيان الثوري قال: "من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث: إما أنْ يكون فتنة لغيره، وإما أنْ يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله الله النار، وإما أنْ يقول: والله ما أبالي ما تكلموه، وإني واثق بنفسي، فمن أمِنَ الله على دينه طرفةَ عين سلبه إياه".

ثم ذكر بإسناده عن بعض السلف قال: "من أتى صاحب بدعة ليوقِّره؛ فقد أعان على هدم الإسلام".

أخبرنا أسد قال: حدثنا كثير أبو سعيد قال: "من جلس إلى صاحب بدعة نُزعت منه العصمة ووُكل إلى نفسه".

أخبرنا أسد ابن موسى قال: أخبرنا حماد بن زيد عن أيوب قال: قال أبو قِلَابة: "لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أنْ يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما تعرفون"، قال أيوب: وكان والله من الفقهاء ذوي الألباب.

أخبرنا أسد بن موسى قال: أخبرنا زيد عن محمد بن طلحة قال: قال إبراهيم: "لا تجالسوا أصحاب البدع، ولا تكلموهم فإني أخاف أنْ ترتدَّ قلوبكم".

أخبرنا أسد بالإسناد عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «الـمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِل»[1].

أخبرنا أسد أخبرنا مؤمل بن إسماعيل عن حماد بن زيد عن أيوب قال: "دخل على محمد بن سيرين يوماً رجل فقال: يا أبا بكر اقرأ عليك آية من كتاب الله، لا أزيدُ على أنْ اقرأها ثم أخرج، فوضع أصبعيه في أذنيه ثم قال: أُحَـرِّج عليك إنْ كنت مسلماً إلا خرجتَ من بيتي، قال: فقال يا أبا بكر لا أزيد على أنْ أقرا ثم أخرج، فقال بإزاره يشده عليه وتهيأ للقيام، قال: فأقبلنا على الرجل فقلنا: قد حرَّج عليك إلا خرجت، فقلنا: يا أبا بكر ما عليك لو قرأ آية ثم خرج، قال: إني والله لو ظننتُ أنَّ قلبي يثبتُ على ما هو عليه ما باليتُ أنْ يقرأ، ولكنْ خِفتُ أنْ يُلقى في قلبي شيئاً أجهدُ أنْ أخرجه من قلبي فلا أستطيع".

أخبرنا أسد قال: أخبرنا ضمرة عن سودة قال: سمعت عبد الله بن القاسم وهو يقول: "ما كان عبد على هوى فتركه إلا آلَ إلى ما هو شر منه".

---

(١) حديثٌ حسن، رواه أحمد وغيرُه.

قال: فذكرتُ ذلك لبعض أصحابنا فقال: تصديقه في حديث عن النبي (صلى الله عليه وسلم): «يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَرْجِعُونَ فِيهِ أَبَداً حَتَّى يَرْجِعَ السَّهْمُ على فُوقِهِ»(١).

أخبرنا أسد قال: أخبرنا موسى بن إسماعيل عن حماد بن زيد عن زيد عن أيوب قال: "كان رجل يرى رأياً فرجع عنه، فأتيتُ محمداً فَرِحاً بذلك فأخبرتُه، فقلتُ: أشعرتَ أنَّ فلاناً ترك رأيه الذي كان يرى، فقال: انظروا إلى ما يتحول، إنَّ آخر الحديث أشدُّ عليهم من أوله، يمرقون من الإسلام لا يعودون إليه".

ثم روى بإسناده عن حذيفة: "أنه أخذ حصاة بيضاء فوضعها في كفه، ثم قال: إنَّ هذا الدين قد استضاء استضاءة هذه الحصاة، ثم أخذ كفاً من تراب فجعل يذره على الحصاة حتى واراها، ثم قال: والذي نفسي بيده لَيجيئنَّ أقوام يدفنون الدين كما دفنت هذه الحصاة".

أخبرنا محمد بن سعيد بإسناده عن أبي الدرداء قال: "لو خرج رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) اليوم إليكم ما عرف شيئاً مما كان عليه هو وأصحابُه إلا الصلاة!" قال الأوزاعي: "فكيف لو أدرك الأوزاعي هذا الزمان!".

(١) حديثٌ صحيح، رواه أحمد وغيرُه، وأصله في الصحيحين.

أخبرنا سليمان بن محمد بإسناده عن علي أنه قال: "تعلَّموا العلم تعرفون به، وأعملوا به تكونوا من أهله، فإنه سيأتي بعدكم زمان ينكر الحق فيه تسعةُ أعشارهم".

أخبرنا يحيى بإسناده عن أبي سهل بن مالك عن أبيه أنه قال: "ما أعرفُ منكم شيئاً مما أدركتُ عليه الناس إلا النداء بالصلاة".

حدثني إبراهيم بن محمد بإسناده عن أنس قال: "ما أعرف منكم شيئاً كنتُ أعهده على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليس قولكم لا إله إلا الله".

أخبرنا أسد بإسناده عن الحسن قال: "لو أنَّ رجلاً أدرك السلف الأول، ثم بُعثَ اليوم ما عرف من الإسلام شيئاً! قال: ووضع يده على خده ثم قال: إلَّا هذه الصلاة، ثم قال: أمَا والله لَـمَن عاش في هذه النَّكراء أو لم يدرك هذا السلف الصالح فرأى مبتدعاً يدعو إلى بدعته ورأى صاحب يدعو إلى دنياه فعصمه الله عن ذلك وجعل قلبه يحنُّ إلى ذكر هذا السلف الصالح ويقتصُّ آثارهم ويتَّبع سبيلَهم؛ لَيُعَوَّض أجراً عظيماً، فكذلك كونوا إنْ شاء الله تعالى".

حدثني محمد بن عبد الله بن محمد بإسناده عن ميمون بن مهران قال: "لو أنَّ رجلاً نُشرَ فيكم منَ السلف ما عرف فيكم غير هذه القبلة".

أخبرنا محمد بن قدامة بإسناده عن أم الدرداء قالت: "دخل عليَّ أبو الدرداء مغضباً، فقلتُ له: ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف فيهم من أمر محمد (صلى الله عليه وسلم) إلا أنهم يصلون جميعاً"، وفي لفظ: "لو أنَّ رجلاً تعلَّم الإسلام وأهمله، ثم تفقَّده، ما عرف منه شيئاً".

حدثني إبراهيم بإسناده عن عبد الله بن عمرو قال: "لو أنَّ رجلين من أوائل هذه الأمة خَلَيَا بمصحفيهما في بعض هذه الأودية لأتيا الناس اليوم ولا يعرفان شيئاً مما كانا عليه".

قال مالك: وبَلَغَني أنَّ أبا هريرة (رضي الله عنه) تلا: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً} فقال: "والذي نفسي بيده إنَّ الناس لَيخرجون اليوم من دينهم أفواجاً كما دخلوا فيه أفواجاً".

قِفْ تأمَّلْ -رحمك الله- إذا كان هذا في زمن التابعين بحضرة أواخر الصحابة، فكيف يغترُّ المسلم بالكثرة أو تشكِل عليه أو لا يستدل بها على الباطل!

ثم روى ابنُ وضاح بإسناده عن أبي أمية قال: "أتيتُ أبا ثعلبة الخُشَني فقلتُ: يا أبا ثعلبة كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: أَيَّةُ آية؟ قلتُ: قول الله تعالى: {لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}، قال: أمَا والله لقد

سألتَ عنها خبيراً، سألتُ عنها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: «بَلِ ائْتَمِرُوا بالمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوا عَنِ المُنْكَرِ، حَتَّى إِذا رأيت شُحّاً مُطاعاً وَهَوًى مُتَّبَـعاً وَدُنْيا مُؤْثَرَةً وَإعْجابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِه؛ فَعَلَيْكَ بِخاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ أمْرَ العَوَام، فإنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أيَّامَاً، الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ القَبْضِ على الجَمْرِ، لِلعامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِه»، قيل يا رسول الله: أجر خمسين منهم؟! قالَ: «لا. بَلْ أجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُم»[١].

ثم روى بإسناده عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أنَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «طُوبَى لِلْغُرَبَاء»، ثلاثاً، قالوا: يا رسول الله ومَن الغرباء؟ قال: «ناسٌ صالحونَ قليل، في ناسِ سوءٍ كثير، مَنْ يُبْغِضُهُم أَكْثَرُ مِمَّنْ يُحِبُّهُم»[٢].

أخبرنا محمد بن سعيد بإسناده عن المعافري قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «طوبى للغرباء، الذين يتمسَّكون بكتاب الله حين يُنكر، ويعملون بالسنَّة حين تُطفأ»[٣].

---

(١) حديثٌ حسن، رواه أبو داوود وغيرُه.

(٢) لم نقف على هذا السند، ورواه أحمد والطبراني بإسنادٍ حَسَن، لكن بلفظ: «من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم».

(٣) الحديث -بهذا السند- ضعيف، فالمعافري لم يثبُت له سماع من أحدٍ من الصحابة، كما أنَّ في سند هذا الحديث: عقبة بن نافع، وهو مجهولٌ متوَقَّفٌ فيه، ونعيم بن حماد، وهو متكَلَّمٌ فيه.

أخبرنا أسد بإسناده عن سالم بن عبد الله عن أبيه أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «بدأ الإسلام غريباً، ولا تقوم الساعة حتى يكون غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء حين يفسد الناس، ثم طوبى للغرباء حين يفسد الناس»[١].

أخبرنا أسد بإسناده عن عبد الله أنه سمع رسول الله الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «إنَّ الإسلامَ بدأ غريباً وسيعودُ غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء» قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: «الذين يُصلِحون إذا فَسَدَ الناس»[٢]..

هذا آخر ما نقلته من كتاب [البدع والحوادث للإمام الحافظ محمد بن وضاح].

فتأمَّلْ -رحمك الله- أحاديث الغربة وبعضها في الصحيح، مع كثرتها وشهرتها.

وتأمَّل إجماع العلماء كلهم أنَّ هذا قد وقع من زمن طويل، حتى قال ابنُ القيم (رحمه الله): "الإسلامُ في زماننا أغربُ منه في أولِّ ظهوره"!

---

(١) الحديث -بهذا السند- ضعيف جداً، ففي سنده: يحيى بن المتوكِّل، وقد ضعَّفه النَّسائي وابن المديني، وقال عنه أحمد: واهٍ، لكنَّ الحديث له أصلٌ في صحيح مسلم بلفظ: «بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيباً، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيباً، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاء».

(٢) الحديث -بهذا اللفظ- صحيح، رواه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن ورواه الآجري في الغرباء بنفس اللفظ، كما رواه الترمذي لكن بلفظ: «يصلحون ما أفسد الناس»، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح، ورواه الطبراني ولكن بلفظ: «يصلحون عند فساد الناس»، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير بكر بن سليم وهو ثقة.

فتأمَّلْ هذا تأمُّلاً جيداً لعلك أنْ تسلم من هذه الهُـوَّة الكبيرة التي هلك فيها أكثر الناس، وهي الاقتداء بالكثرة والسواد الأكبر، والنفرة من الأقل، فما أقلَّ مَنْ سَلِم منها! ما أقله! ما أقله!

ولْنختم ذلك بالحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «مَا مِنْ نَبيٍّ بَعَثَهُ اللهُ في أمَّةٍ قَبْلِي إلا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَاب، يَأْخُذُونَ بِسنَّتِهِ، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ -وفي رواية: يهتدون بهديه ويستنُّون بسنَّته-، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ، يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لا يُؤْمَرونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلبِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَلَيس وَرَاءَ ذلِكَ مِنَ الإيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَل».

انتهى ما نقلتُه

والحمدُ لله ربِّ العالمين

وقد رأيتُ للشيخ تقي الدين رسالةً كتبَها وهو في السجن إلى بعض إخوانه لـمَّا أرسلوا إليه يُشيرون عليه بالرِّفق بخصومه ليتخلَّص من السجن، أحببتُ أنْ أنقل أوَّلها لعظم منفعته.

قال (رحمه الله تعالى)[1]:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فقد وصلتِ الورقةُ التي فيها رسالة الشيخين الناسكين القدوتين، أيدهما الله وسائر الإخوان بروحٍ منه وكتب في قلوبهم الإيمان، وأدخلهم مدخل صدق وأخرجهم مخرج صدق، وجعل لهم من لدنه ما ينصر به من السلطان، سلطان العلم والحجة بالبيان والبرهان وسلطان القدرة والنصرة باللسان والإخوان، وجعلهم من أوليائه المتقين وحزبه الغالبين لمن ناوأهم من الأقران، ومن الأئمة المتقين الذين جمعوا بين الصبر والإيقان، والله محقِّق ذلك ومنجز وعده في السر والإعلان، ومنتقم من حزب الشيطان لعباد الرحمن.

لكن بما اقتضتْ حكمتُه ومضت به سنته من الابتلاء والامتحان، الذي يميز الله به أهل الصدق والإيمان، من أهل النفاق والبهتان، إذ قد

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية.

دلَّ كتابه على أنه لا بدَّ من الفتنة لكل من ادَّعى الإيمان، والعقوبة لذوي السيئات والطغيان، فقال تعالى: {الم، أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ، أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}، فأنكر سبحانه على من ظنَّ أنَّ أهل السيئات يفوتونَ الطالبَ الغالب، وأنَّ مدَّعي الإيمان يُتركون بلا فتنة تميز بين الصادق والكاذب.

وأخبر في كتابه أنَّ الصدق في الإيمان لا يكون إلا بالجهاد في سبيله فقال تعالى: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا}.

وأخبر سبحانه وتعالى بخسرانِ المنقلِب على وجهه عند الفتنة، الذي يعبد الله فيها على حرف، وهو الجانب والطرف الذي لا يستقر من هو عليه، بل لا يثبت على الإيمان إلا عند وجود ما يهواه من خير الدنيا، فقال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} وقال تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ

جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ}، وقال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ}.

وأخبر سبحانه أنه عند وجود المرتدين فلا بدَّ من وجود المحبين بين المجاهدين، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي الله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}، فهؤلاء هم الشاكرون لنعمة الإيمان، الصابرون على الامتحان، كما قال تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ} إلى قوله: {وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}.

فإذا أنعم الله على إنسانٍ بالصبر والشكر؛ كان جميع ما يقضي له من القضاء خيراً له، كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «لَا يَقْضِي اللهُ للمؤمن قضاءً إِلَّا كَانَ خَيْراً لَهُ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ فشَكَرَ كَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ فصَبَرَ كانَ خَيْراً لَهُ»[1]، والصبَّار الشَّكور هو المؤمن الذي ذكر الله في غير موضع من كتابه، ومن لم يُنعِمِ الله عليه بالصبر والشكر فهو بِشَرِّ حال، وكل واحد من السراء والضراء في حقه يفضي به إلى قبيح المآل، فكيف إذا كان ذلك في الأمور العظيمة التي هي محن الأنبياء والصديقين، ومنها تثبت أصول الدين، وحفظ الإيمان والقرآن من كيد

(١) حديثٌ صحيح، رواهُ بألفاظٍ متقاربة: مسلمٌ وأحمدُ والدارمي وغيرُهم.

أهل النفاق والإلحاد والبهتان، فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعزَّ جلاله.

والله المسؤول أنْ يثبتكم وسائر المسلمين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويتم نعمه عليكم الظاهرة والباطنة، وينصر دينه وكتابه ورسوله وعباده المؤمنين، على الكافرين المنافقين الذين أمرنا بجهادهم والإغلاظ عليهم في كتابه المبين..

انتهى ما نقلته من كلام أبي العباس (رحمه الله).

ومن جواب له (رحمه الله)، لـمَّا سُئِلَ عن الحشيشة ما يجب على من يدعي أنَّ أكلها جائز، فقال[1]:

وأكل هذه الحشيشة حرام، وهي أخبث الخبائث المحرمة، سواء أكل منها كثيراً أو قليلاً، لكنَّ الكثير المسكر منها حرام باتفاق المسلمين، ومن استحلَّ ذلك فهو كافرٌ يُستتاب، فإنْ تابَ وإلا قُتل كافراً مرتدَّاً لا يُغسَّل ولا يُصلَّى عليه ولا يُدفن بين المسلمين.

وحُكْمُ المرتد أشرُّ من حكم اليهود والنصارى، وسواء اعتقد أنَّ ذلك يحلُّ للعامة أو للخاصة الذين يزعمون أنها لقمة الذكر والفكر! وأنها تحرك العزم الساكن! وتنفع في الطريق!

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية.

وقد كان بعض السلف ظنَّ أنَّ الخمر يُباح للخاصة متأولاً قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ} فاتفقَ عمر وعلي وغيرهما من علماء الصحابة (رضي الله عنهم) على أنهم إنْ أقروا بالتحريم جُلدوا، وإنْ أصروا على الاستحلال قُتلوا..

انتهى ما نقلتُه من كلام الشيخ (رحمه الله تعالى).

فتأمَّل كلام هذا الذي يُنسبُ إليه عدم تكفير المعيَّن إذا جاهر بسبِّ دين الأنبياء وصار من أهل الشرك ويزعم أنهم على الحق ويأمر بالمصير معهم وينكر على من لا يسبُّ التوحيد ويدخل مع المشركين لأجل انتسابه إلى الإسلام!

انظرْ كيف كفَّر المعيَّن ولو كان عابداً باستحلال الحشيشة، ولو زعم حلَّها للخاصة الذين تعينهم على الكفرة واستدلَّ بإجماع الصحابة على تكفير قُدامة وأصحابه إنْ لم يتوبوا، وكلامه في المعيَّن وكلام الصحابة في المعيَّن، فكيف بما نحن فيه مما لا يساوي استحلال الحشيشة جزء من ألف جزء منه!

والحمدُ لله ربِّ العالمين

وصلَّى الله على محمد وآله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً

***

انتهى كلام الشيخ محمد (رحمه الله وأسكنه فسيح جناته)

تم بحمد الله

مكتبة الهمّة

الدّولةُ الإسلاميّة

كتابٌ يهدي، وسيفٌ ينصر

مطابع الدّولة الإسلاميّة
شـوال ١٤٣٦هـ

طُبع في مطابع الدَّولة الإسلاميَّة
شـــــوال ١٤٣٦هـ